الألوان البديعية في شعر شاعر مسلاتة
المبروك محمد التفوح من خلال ديوانه

أ.سالم عياد العرق
محاضر مساعد / البلاغة والأدب / كلية العلوم الشرعية / مسلاتة
Salemayad76@gmail.com

مقدمة:

تتردد كثيرًا صيغة "بديع" في كتب التراث النقدي والبلاغي بمعنى الجديد والطريف، وهي تشير في المعاجم العربية إلى الجديد أو الغريب أو المخترع.

والبديع هو أحد أقسام البلاغة العربية الثلاثة التي قسمت على يد أبي يعقوب يوسف السّكاكي المتوفى سنة 656هـ، عندما ذكر في الثلث الأخير من كتابه "المفتاح": المعاني ثم البيان ثم جعل البديع تابعاً لهذين العلمين، وعندما جاء بدر الدين بن مالك صاحب كتاب "المصباح في علوم المعاني والبيان والبديع" جعل علم البديع علماً مستقلاً بذاته.

وأول من وضع أصوله ودوّن قواعده عبد الله بن المعتز المتوفى سنة 296هـ، في كتابه "البديع"، ثم جاء من بعده قدامة بن جعفر الكاتب المتوفى 337هـ، فألف كتابه "نقد الشعر أو نقد النثر"، وقد تأثر بذلك أبو هلال العسكري وابن رشيق القيرواني وغيره ممن كتب وألف في هذا العلم.

والبديع في اصطلاح البلاغيين: هو علم يُعْرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة.

والكلام عن هذا العلم يطول ولكننا لسنا بصدد ذكر أصالة هذا العلم، واشتمال الشعر في العصور السابقة على المحسنات البديعية؛ ولكن لا يخلو شعر من المحسنات البديعية سواء كانت لفظية أو معنوية.

وكنت أتنمى دائماً ألا أقع في خطأ اختياري للموضوع أو أن أكون مثل من يجري خلف سراب بقيعة حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، وكما يقولون: مَنْ أحسن الابتداء أحسن الانتهاء.

لذلك اخترت موضوعاً يتناول دراسة المحسنات البديعية في شعر شاعر معاصر من مدينة مسلاتة بها ولد سنة 1935م وبها ترعرع وتعلم وتوفي سنة 2010م، وشاعرنا هو: **المبروك محمد التفوح**، الذي صدر له ديوان شعر أخرجه الأستاذ نصر مفتاح آغا موسى سنة 2015م، وقد حوى هذا الديوان مجموعة من القصائد تنوعت أغراضها بين الفخر والمدح والغزل والسياسة وغيرها، وسمته بعنوان:(**الألوان البديعية في شعر شاعر مسلاتة المبروك محمد التفوح من خلال ديوانه**).

وكان سبب اختياري لهذا الموضوع أسباب عدة أهمها:

- الاسهام في نقل الدرس البلاغي من مجاله النظري إلى المجال التطبيقي على النصوص الشعرية المعاصرة.
- إعجابي الفائق بالشعر والشعراء وشغفي بالبلاغة العربية بعلومها الثلاثة.
- أن كثيراً من شعرائنا المعاصرين لم يحضوا بدراسة أشعارهم حيث إن الشعر لغة غامضة ذات أبعاد جميلة تحتاج إلى من يستكشف جمالياتها ويتغلغل في أعماقها ليبين للقراء ثراء تلك الأساليب واحتوائها على الصور البلاغية المختلفة.

أما عن الدراسات حول هذا الموضوع فلا توجد دراسة مرتبطة بهذا الديوان لا من الناحية البلاغية ولا النقدية.

وقد تطلبت طبيعة البحث تقسيمه على قسمين :

القسم الأول: اختص بدراسة المحسنات اللفظية

والقسم الثاني: اختص بدراسة المحسنات المعنوية

وقد اخترت منهجاً وصفيًا تحليلياً يتناسب مع طبيعة البحث وسرت على منواله.

هذا وما وفقت فيه فمن الله رب العالمين ، وإن كانت الأخرى فمن تقصيري.

أولاً : المحسنات اللفظية

الاقْتِباسُ

الاقْتِباسُ في اللُّغةِ : مصدَرُ " اقتَبسَ " إذا أخَذَ من مُعظَم النَّارِ شَيئاً، وذلكَ المأخُوذُ " قَبَسَ " بفتحِ القافِ والباءِ[1].

وفي الاصطلاحِ : فقد عرَّفهُ الحَلبي فقَالَ : هو أن يُضمَّنَ الكَلامُ شَيئاً منَ القُرآنِ، أو الحديثِ، ولا يُنبَّه عَليهِ للعِلمِ به[2].

وقد قسَّمهُ ابنُ حَجَّةَ الحَمَوي إلى ثلاثَةِ أقسَامٍ : (مَحمُودٍ مَقبُولٍ) ويكُونُ في الخُطبِ والَمواعظِ، والعُهودِ، ومَدحِ النبي صلى الله عليه وسلم .

و(مباحٍ مبذولٍ) ويكونُ في الغَزَلِ، والصِّفَاتِ، والقِصَصِ، وغيرِها، و(مَردودٍ مرذولٍ) وهذا القسمُ على جُزئينِ : إحداهُما ما نَسَبهُ الله تعالى إلى نَفسهِ، وثانيهما تضمينُ آيةٍ كريمةٍ في مَعرَضِ هَزَلٍ أو سُخْفٍ[3].

وممَّا وَردَ في شِعْرِ شَاعرِنا من اقتِباسٍ، قَولُهُ بِمُناسَبةِ إحدَى القِمَمِ العَربيَّةِ من بحر [الكامل]:

---

1 ابن منظور : لسان العرب ، ط" 1 " ، دار صادر، بيروت ، مادة " قبس "ج6 ، صـ167 ، ومحمد الرازي: مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1995 م ،باب " الفاء " صـ217 .

2 إنعام عكاوي : المعجم المفصل في علوم البلاغة " البديع والبيان والمعاني " ط 1 ، مراجعة أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت 1992 م ، صـ194.

3 بكري أمين : البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1996 م ، ج3 صـ108- 109 .

ضُربتْ عليهم ذِلَّةٌ فتَجَمَّعُوا في قمَّةٍ مَهزومةٍ لا تَنفعُ[4]

فقولُه : " ضُربتْ عليهم ذِلَّةٌ " اقتباسٌ مع تَغييرٍ يسيرٍ جدًّا من قوله تعالى : (ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ)[5]، وهو من الاقتباسِ المحمُودِ المقبُولِ المبَاحِ، الَّذي لا يتَعَّرضُ لِذاتِ الله تَعَالى، ولا في مَعرَضِ الهَزلِ والسُخْفِ.

ومَا من ريبٍ في أنَّ ألفاظَ القُرآنِ المُقتَبسةِ أو الحديثِ تزيدُ الكلامَ بلاغةً، وقوةً كما تُضفي عليهِ حُسنًا، وجمالاً، إذ تبدُو وسَطَهُ كالضِّياءِ اللاَّمِعِ، والنُّورِ المُشرِقِ، والمُتكلِّمُ عندمَا يَقتَبسُ يَبْنِي كلاَمهُ على الالتِئَامِ والتَّلاحُمِ، وَبهَذا يَبدُو كلامُهُ قَويًّا بليغًا[6].

والقِيمةُ الفَنيَّةُ للاقتِباسِ التَّوسُّعُ في اللُّغةِ، والظَّرافةُ، والاستمتاعُ، والتقويةُ للأسلوبِ والَمهارةُ في الرَّبطِ بين الأدَبِ والقُرآنِ والحَديثِ، والتَّوشيحُ بالصُوَرِ البَلاغِيَّةِ، وإظْهارُ عَبقَريةِ الأدِيبِ[7].

وقَدْ عدَّهُ الإمامُ فَخرُ الدِّينِ الرَّازي من تَزيينِ نِظامِ الكلامِ وتَفخِيمِ شَأنهِ عندَ إدرَاجِ كلِمةٍ منَ القُرآنِ أو إدراجِ آيَةٍ [8]

التَّضْمِينُ

التَّضمِينُ في اللُّغةِ : جَعْلُ شيءٍ ضِمنَ آخَر[9].

وفي الاصْطلاحِ: هُو أنْ يُضمَّنَ الشِّعرُ شَيئاً من شِعْرِ الآخَرين، مع التَّنْبيهِ عَليهِ إن لمْ يَكُنْ مشْهُوراً عند البُلغَاءِ ... وأَحْسَنُ التَّضمينِ ما زَادَ على الأصْلِ بِنُكتةٍ، كالتَّوريةِ، والتَّشْبيهِ[10].

والتَّضْمِينُ يختَلفُ عن الاقتباسِ، بأنهُ لا يكُونُ من القُرآنِ والحَديثِ ، بل يَكونُ من كَلامِ آخَر غيرِهِمَا ، كما أنَّه لا يكُونُ في النَّثْرِ، بل في الشِّعْرِ خَاصَّةً[11].

وقَدْ أُولِعَ المُتأخِّرُونَ بالتَّضمِينِ وَلَعاً بالِغاً ، حتَّى لَقد عبَّر أحَدُهُم وهْوَ مُجيرُ الدِّينِ ابنُ تَميمٍ عن لسَانِ حَالِهم فَقَالَ:

أُطَـالِـعُ كـُلَّ ديــوانٍ أرَاهُ وَلَمْ أَزْجُرْ عنِ التَّضْمِـينِ طَـيْرِي
أُضَمِّنُ كُلَّ بَيتٍ فِيهِ مَعنى فَشِعرِي نِصْفُهُ مِنْ شِعْرِ غَيْرِي[12]

---

4 المبروك محمد التفوح : ديوان شاعر مسلاته، تحقيق : نصر مفتاح آغا موسى، دار الحكمة، طرابلس ليبيا صـ28.

5 سورة آل عمران الآية : 112.

6 بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ط2، دار المعالم الثقافية، السعودية، 1998 م، صـ268 .

7 محمد الجربي : البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البديع، ط1 ، مراجعة علي رمضان الجربي منشورات إلجا، مالطا، 2001م، صـ197.

8 فخر الدين الرازي : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق : نصر الله حاجي، ط1، دار صادر، بيروت، 2004 م، صـ173

9 ابن منظور : لسان العرب ، مادة " ضمن " ج13 ، صـ257

10 الخطيب القزويني : تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، ط1 ، كتب حواشيه ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية بيروت، لبنان ، 2002 م صـ218 .

3 بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ270 .

12 بكري أمين : البلاغة العربية في ثوبها الجديد صـ115.

وممَّا جَاء في شِعْرِ شَاعِرِنَا من مثلِ هذا الأُسلُوبِ قولُهُ في أحدِ قَراراتِ القِمَمِ العَربيَّةِ الَّتي – في رأيه – لا تُجدِي من بحر [البسيط]:

عَدّوهُ حِبرًا كمَا قَالُوا عَلَى وَرَقٍ أخْنَى عليهِ الَّذِي أخْنَى علَى لُبَدِ[13]

فقَد ضمَّنَ بيتَه شطرًا من بيتِ النَّابغةِ الذُبيَاني مع تَغيير يَسيرٍ ، وهذا البَيتُ من قَصِيدةٍ مشهُورةٍ عُدَّت منَ المُعلَّقاتِ الَّذِي يقُولُ فيها الشَّاعرُ :

أضْحَتْ خلاءً وأضحَى أهلُها احتمَلوا أخنَى عليها الَّذي أخنَى على لُبَدِ[14]

ولهذَا الأُسلُوبِ قيمةٌ بَلاغيةٌ، فَهو يُؤكِّدُ المَعنى، ويُوضحُ الفِكرةَ، ويُثري الأُسلُوبَ، ويَبعَثُ فيهِ الحيَاةَ، والحَركةَ، ويُبرزُ بَراعةَ الأديبِ، وقُدرتَهُ على التَّعبيرِ، والرَّبطِ بينَ الأُدبَاءِ في أُسلُوبٍ شيِّقٍ، وعِبارةٍ مُحكَمةٍ، ونَظمٍ جَميلٍ[15].

وجاء التَّضمينُ في قولِ الشاعرِ يمدحُ نبينَا ﷺ من بحر [الوافر]:

مُحَمَّدُ خَيرُ منْ رَكِبَ المَطايَا وبالأَقْصَى إمَامُ الأنبيَاءِ[16]

فقد ضمَّنَ الشَّاعرُ شِعرَهُ من بيتٍ لجريرٍ مع تغييرٍ يَسيرٍ يقولُ فيه:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا، ... وَأَنْدَى العالَمِيْنَ بطونَ راحِ[17]؟

لُزُومُ مَا لاَ يَلْزَم

وهو أنْ يَجِيئَ قَبْلَ حَرْفِ الرَّوِيِّ أو مَا في معْناهُ من الفَاصِلةِ مَا لَيْسَ بِلازمٍ في السَّجعِ[18].

وهو مُصطلحٌ أُطلقَ في الأَصلِ على نَهجِ أبي العَلاءِ المَعرِّي الَّذي عَمَدَ في ديوانٍ شِعْرِيٍّ مَشهُورٍ بهذا الاسمِ إلى التزَامِ مَا لَا تَفرِضُ قَواعدُ النَّظمِ والتَّأليفِ التِزامُهُ كأنْ يَلتَزمَ مثلاً مع حَرفِ الرَّويِّ حَرفاً آخَر لا ضَرورةَ مَبدئية لالتِزامِهِ أو كأن يتَقصَّدَ النَّظمَ على قَوافِي حُروفِ الهجاءِ في مُعظَمِهَا وفي مُختَلفِ حَالاتِ الإعرابِ أو كأن يتَوخَّى النَّظمَ من مُعظَمِ البُحُورِ الشِّعريةِ كمَا فعلَ في قَصَائدَ ديوانِهِ المعرُوفِ بلزُومِ ما لا يَلزمُ أو اللُّزوميات[19].

ومن شَواهِدِهِ من شِعرِ شَاعرِنَا قولُهُ من بحر [الوافر]:

فَسَلبيَّاتُ هَذَا العَصْرِ صَارتْ كَدَاءٍ في عُروقِ النشئِ تَسرِي
وَأمَّتُنا العَريقَةُ مِنْ قَديمٍ لهَا تَاريخُهَا والكُلُّ يَدْرِي
لَنَا قِيَمٌ وأخْلاقٌ وَدِينٌ ورِثْنَاهَا عنِ الأجْدَادِ بَكرِي

[13] الديوان صـ27.
[14] النابغة الذبياني : الديوان ، شرحه : حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان ، 2007 م ، صـ 48
[15] محمد الجربي : البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البديع صـ193.
[16] الديوان صـ71.
[17] جرير بن عطية : الديوان، شرحه : حمدو طمَّاس ، ط 1، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، صـ2003 م صـ71
[18] الخطيب القزويني : تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع صـ208.
[19] إنعام عكاوي : المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني صـ632.

فتلكَ خَواطِري إنْ صَحَّ قَوْلِي وإنْ زلَّ اللّسانُ فَذاكَ عُذرِي[20]

فالشَّاهدُ في الأَبياتِ السَّابقةِ هُو التزامُ الشَّاعرِ حركة موحدة قبلَ حَرفِ الرَّويّ لأن حرف الرَّوي في تلك الأبيات هو حرف " الرَّاء " والشَّاعر التزمَ حركةَ السكونِ في كلِّ الأبياتِ وهذا الالتزامُ ليس بلازمٍ، وقد جاء عفوَ الخَاطرِ بلا تكلفٍ ولا تعملٍ وكان المعنَى هوَ الَّذي يقُودُ إليهِ ويَستدعيهِ وليسَ العَكسُ، وَلذا لا تَرَى عَليهِ أثَراً للصَّنعةِ أو التَّكلُّفِ.

التَّصديرُ أو " ردُّ العَجُزِ على الصَّدرِ "

رَدّ يَرُدُّ رَدًا عن الشَّيء : صَرَفه وأرجَعَهُ[21].

وفي اصطِلاحِ البلاغيين:" أن يُجعلَ أحدُ اللفظينِ المكرَّرينِ أو المُتجانسَينِ أو المُلحقينِ بهما في أولِ الفقرةِ والآخَرُ في آخرهَا"، فاللَّفظانِ المكرَّرانِ: هما المتَّفِقانِ في اللَّفظِ والمَعنى والمُتجَانِسانِ هُما المُتشابهانِ في اللَّفظِ دونَ المعنى وأمَّا المُلحَقانِ بهِمَا – أي بالمُتَجانسَيْنِ – فهما اللَّفظَانِ اللَّذانِ يَجمَعُهُما الاشتِقَاقُ أو شِبهُهُ[22].

وفي الشِّعرِ أنْ يَكونَ أحدُهُما في آخِرِ البيْتِ والآخَرُ في صَدرِ المِصراعِ الأَولِ أو حَشْوِهِ أو آخرِهِ أو صَدرِ الثَّانِي[23].

وممَّا وردَ في شِعرِ شَاعِرِنَا قولُهُ في إحدى قَصَائدِهِ من بحر [الكامل]:

لا تَعجَبُوا إنْ قُلتُ أنِّي مُغرَمُ وأنَا الَّذي بالعَامِريَّةِ مُغْرَم[24]

فالشَّاهدُ في كلِمَةِ " مُغرَمُ " فقد تَكرَّرتْ في البَيتِ السَّابقِ على سَبيلِ التَّصديرِ ، فاللَّفظُ الأولُ المردُودُ عليهِ وقَعَ في آخرِ المِصراعِ الأَولِ، وهذَا التَّصديرُ من النَّوعِ الأولِ الَّذي يَكُونُ فيه اللَّفظانِ المكرَّرانِ متَّفقيْنِ في اللَّفظِ والمَعنى، وتَرجِعُ بلاغَةُ هذا الفَنِّ إلى أمرينِ :

أَولُهُما – دِلالَتُهُ على تَأكيدِ المَعانِي وتَقريرِها .

وثَانِيها – دِلالةُ أوَّلِ الكَلامِ على آخِرِهِ وارتِباطِ آخِرِهِ بأَولِهِ[25].

الجِنَاس:

[20] الديوان صـ75.

[21] إنعام عكاوي : المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني صـ574.

[22] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ311.

[23] عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، عدد الأجزاء 4 ، ط17 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2005 م ، ج 649/4.

[24] الديوان صـ74.

[25] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ314-315.

الجِنَاسُ لغةً : الجنسُ ، الضربُ من كلِّ شيءٍ " يُقالُ هذا يُجانسُ هذا أيْ يُشاكلُهُ ، وفلانٌ يُجانسُ البهَائمَ ولا يُجانسُ النَّاسَ إذا لمْ يكنْ لهُ تميز ولاَ عقل[26].

ويُسَمِّيهِ بَعضُ المُؤلِّفينَ (التَّجانُس ، أو التَّجنيس ، أو المُجانَسة)

وسمَّاهُ قُدامةُ بنُ جعفرُ (الطباقَ) ولمْ يأخُذْ بتسميتهِ سِواه[27].

وفي الاصطلاح: هُوَ أنْ يتَّفقَ اللَّفظانِ في النُّطقِ ويَختَلفَا في المَعنى[28].

وينقَسِمُ الجِنَاسُ إلى قسمينِ : جِناسٌ تامٌّ ، وجِناسٌ غيرُ تامٍّ

فالجناسُ التَّامُّ هو أنْ تتَّفقَ فيهِ الكلمتَانِ في نوعِ الحرُوفِ وترتِيبهَا وعدَدِهَا وحَرَكاتِها

والجِناسُ غيرُ التَّامِّ هو أنْ تَختَلفَ الكلمتَانِ في نوعِ الحُروفِ أو في العَددِ أو الحَركاتِ أو التَّرتيبِ[29].

فإن اختَلفتِ الكلِمَتانِ في نَوعِ الحُروفِ كان الجِناسُ ناقصًا وقَد جاءَ هَذا النَّوعُ في قولِ شَاعرِنا مُفتَخراً بِمدِينتهِ " مسلاتة " ومُرَحِّبًا بمنْ قَدِمُوا عَليهَا ضُيُوفًا من بحر [الوافر]:

مَنارَتُنا بِكم تَزهُوا افتِخَارًا بمنْ في أرضِنَا سَامٍ وحامِ[30].

والشَّاهدُ هُو وُرودُ الجِناسِ بينَ كلمتيْ " سامٍ ، وحامٍ " وقدْ اختَلفتِ الكلمَتانِ في حرفٍ واحدٍ وهو منَ الجِنَاسِ النَّاقِصِ ، ولِتَباعُدِ مخَارجِ الحُروفِ بين (السِّينِ والحاءِ) أَطْلَقَ عليهِ البَلاغِيُّونَ اسمَ الجناسِ اللاَّحقِ .

وقدْ تَختلفِ الكلمَتانِ في أعدادِ الحُروفِ والاختلافُ قد يكونُ بزيادةِ حرفٍ أو أكثرَ وهذه الزيادةُ قد تقعُ في أولِ الكلمةِ وقد تقعُ في وسَطِهَا أو في آخِرِهَا[31].

وقدْ وردَ هذا النوعُ في قولِ شاعرنَا متهكِّمًا من حالِ العَجائزِ عندمَا يتقدَّمنَ في السِّن من بحر [الكامل]:

سرُّ البَلاءِ على العِبادِ عَجَائزُ والقَولُ في حَالِ العَجَائزِ جَائزُ[32]

فعندَ تأمُّلِنا لهذا البَيتِ نُلاحِظُ أن الشَّاعرَ قد جَانَسَ بين كلمَتيْ (عجائزُ ، وجائزُ) وقد اختلفتِ الكلمَتَانِ في عَددِ الحُروفِ وزادتِ الأولَى عنِ الثَّانيةِ بِحَرفٍ واحِدٍ وهو حَرفُ العَينِ واتَّفقتْ معَها في بقيَّةِ الحُرُوفِ ، وقد أَطلقَ البلاغِيُّونَ على هذا النَّوعِ اسمَ (الجناسُ المردُوف) وهو الَّذي تكونُ فيه الزيادةُ بحرفٍ واحدٍ في أولِ الكلمةِ[33].

---

[26] ابن منظور : لسان العرب، مادة: (جنس) ، ج6ص43.

[27] بكري أمين : البلاغة العربية في ثوبها الجديد ص131.

[28] السيد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق يوسف الصَّميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2007 م ، ص325.

[29] بكري أمين : البلاغة العربية في ثوبها الجديد ص139.

[30] الديوان ص64.

[31] بكري أمين : البلاغة العربية في ثوبها الجديد ص141.

[32] الديوان ص40.

[33] عبد الرحمن الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، ط1 ، دار القلم ، دمشق ، 1996 م ، ج2 ، ص492

وألحقَ البَلاغيُّونَ بالجناسِ (جناسَ الاشتقاقِ) وهو أن يَجمعَ اللَّفظينِ الاشتقاقُ بأنْ يَرجِعَ اللَّفظانِ إلى أصلٍ وَاحدٍ في اللُّغةِ وهذا النَّوعُ من الجِناسِ يكثُرُ في كلامِ القُدماءِ شعرِهِ ونثرِهِ وفي النَّظْمِ الكَريمِ والحَديثِ الشَّريفِ كثيرٌ منهُ ، وهو الَّذي لَفَتَ نظرَ العُلماءِ الأوائلِ الَّذين تَحدَّثُوا عنِ الجِناسِ وفَطِنُوا لشَواهِدِهِ[34].

وممَّا وردَ في شعْرِ شاعرِنا قَوْلُه من بحر [البسيط]:

كَمْ قَالَ قَائِلُكُمْ تَعَالَوْا نكتفِي في قُوَّةٍ تَحمِي الدِّيَارَ وتَخلُقُ[35].

فالشَّاهدُ في البيتَ هوَ جناسُ الاشتقاقِ بين كلمتيْ " قالَ – وقائلُكم " فكِلتَا الكلمتينِ تَرجعانِ إلى أصْلٍ واحدٍ وهو " القولُ " وهذا ما يُسمَّى بجناسِ الاشتقاقِ عندَ البَلاغيين .

حسن الابتداء

قَالَ أَهْلُ الْبَيَانِ مِنَ الْبَلَاغَةِ حُسْنُ الِابْتِدَاءِ وَهُوَ أَنْ يَتَأَنَّقَ المُتكلِّمُ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ السَّمْعَ فَإِنْ كَانَ مُحَرَّرًا أَقْبَلَ السَّامِعُ عَلَى الْكَلَامِ وَوَعَاهُ وَإِلَّا أَعْرَضَ عنه ولو كَانَ الْبَاقِي فِي نِهَايَةِ الْحُسْنِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُؤْتَى فِيهِ بِأَعْذَبِ اللَّفْظِ وَأَجْزَلِهِ وَأَرَقِّهِ وَأَسْلَسِهِ وَأَحْسَنِهِ نَظْمًا وَسَبْكًا وَأَصَحِّهِ مَعْنًى وَأَوْضَحِهِ وَأَخْلَاهُ مِنَ التَّعْقِيدِ وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ الْمُلْبِسِ أَوِ الَّذِي لَا يُنَاسِبُ[36].

إذا انْتَقَى المُتكلمُ لابتداءِ كلامهِ الألفاظَ العذبةَ الخاليةَ من الثقلِ والتنافرِ ، وتخيرَ النظمَ الأجودَ ، البعيدَ عن التعقيدِ ، وأتى بالمعنى الصحيحِ المطابقِ لمقتَضى الحال، وُصفَ ابتداؤُه عندئذٍ بالحُسن وكان ذلكَ داعياً إلى أن يَقبَلَ المُخاطَبُ إلى جميعِ كلامِهِ فيُصغِي إليهِ ويتأملُه ويَعِيَهُ، أمَّا إذا لم يبتدئ ابتداءً حسناً فإن المخاطَب يَنفِرُ منه ويُعرِضُ عن جَمِيعِ كَلامِهِ ويَرفُضُهُ ، ولو كانَ في غَايةِ الحُسنِ والبَلاغَةِ[37].

فمن الابتداءات الحسنةِ في قَول شاعرنا في مدينته مسلاتة من بحر [الوافر]:

بِلَادٌ قد حَبَاهَا اللهُ عطْفًا فَنعمَ الجُودُ منْ فَيضِ العَطَاءِ[38]

فقد ابتدأ الشَّاعرُ كلامَهُ بمَا يُلائمُ حَالَ الفَخرِ وأَطْلَقَ لَفْظَ " بِلادٌ " الَّذي يَدُورُ حَولَهُ المقْصُودُ والغَرَضُ الَّذي يُرِيدُهُ الشَّاعِرُ، وهو من الألْفاظِ السَّهلةِ العَذبةِ، ثم أتَى على ذكرِ صفاتِ هذه البلدةِ التي حبَاهَا اللهُ مِن فَضلِهِ تَحْفيظَ كِتابِهِ العَزيزِ واشْتِهَارِها بالجُودِ وحُسنِ العَطاءِ .

[34] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ص289.

[35] الديوان ص14.

[36] عبد الرحمن السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1974 م ج3 ، ص363

[37] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ص256.

[38] الديوان ص59.

براعة الاستهلال

أوردَ السُّيُوطي تَعريفاً لِبراعةِ الاستهلالِ فَقَال : هُو أنْ يَشتمِلَ أَولُ الكَلامِ على مَا يُناسِبُ الحالَ المتَكلَّمَ فيهِ، ويُشيرُ إلى مَا سيقَ الكلامُ لأجلهِ[39]

وأحسنُ الابتداءاتِ ما ناسبَ المقصودَ بأن يكونَ فيهِ إشارةٌ إلى ما سيقَ الكلامُ من أجلهِ فيكونَ الابتداءُ مشعراً بالمقصودِ، ومُنْبِئًا بِه[40].

ومن ذلكَ قولُ شاعِرنَا واصفاً معاركَ الجِهَادِ وتَضحِياتِ الآبَاءِ والأجْدَادِ من بحر [الوافر]:

بِيَوْمِ الهَاني نَحتَفلُ اعتزَازاً ويَومُ الهَانِي مِنْ ذِكْرَى الخُلُودِ[41]

فقد استهلَّ الشاعرُ قصيدتَهُ بذكرِ ما يُشعرُ بِما سِيقَ الكلامُ لأجلهِ، وإشعارٍ بالمقصودِ منه، ففيه إشارةٌ لا تَخفى على مُتأملٍ، وتِكرارُ اللَّفظِ مرتين لتأكيدِ الفكرةِ في الأذهانِ، وأنَّ ذِكرى معركةِ الآباءِ والأجدادِ رمزٌ للتضحيةِ والفداءِ لهذا الوطنِ المِعطاءِ

فتصديرُ الكلامِ، والابتداءُ بعبارةِ " بيومِ الهانِي " هُو مِن بَرَاعَةِ الاستِهلالِ، الَّذي هُوَ أخَصُّ من حُسنِ الابتداءِ كما ذكرَ السُّيوطي، فالكلامُ يدورُ حولَ معركةٍ تاريخيَّةٍ مشهورةٍ، قدَّمَ فيهَا آباؤُنَا وأجدادُنَا الدِّماءَ الزَّكيةَ، والأرواحَ الطَّاهرةَ، وكانت إشارةً إلى ما سيقُولُهُ الشَّاعرُ، ويصفُهُ في تلكَ المَعرَكةِ .

حسن الانتهاء

أطلقَ عليه علماءُ البلاغةِ مسمَّى براعةِ المقطعِ، أو براعةِ الختامِ، وهو أن يختمَ المتكلمُ كلامهُ بختامٍ حَسنٍ، إذ هوَ آخرُ ما يَطرُقُ الأسماعَ أو يقعُ عليه نظرُ القارئ فيُحسنُ فيه بأن يكونَ بمثابةِ أطيبِ لقمةٍ في آخِرِ الطَّعامِ[42]ويتمُّ حسنَ الانتهاءِ بمراعاةِ ما رُوعيَ في حسنِ الابتداءِ من تخيُّر الألفاظِ والنظمِ الجيدِ وصحةِ المعنى ومطابقتهِ لمقتضَى الحالِ[43]؛ لأن حسنَ الانتهاءِ هو آخرُ ما يعيهُ السَّامعُ ويرتسمُ في ذهنهِ من المعاني والأفكارِ والصورِ، ولهذا خُتمتْ كثيرٌ من سُوَرِ القُرآنِ بالتَّسبيحِ والتَّحميدِ والتَّكبيرِ والتنزيهِ للهِ ربِّ العالمين لتَشُّد أذهانَ القراءِ وتستقرَّ في أفكارهم وعواطفهِم[44].

[39] عبد الرحمن السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ج3 ، صـ363

[40] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ256.

[41] الديوان صـ20.

[42] عبد الرحمن الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج2، صـ563

[43] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ274 .

[44] محمد الجربي : البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البديع صـ230 .

ومما بَرَعَ فيه شاعرُنا واختارَ انتهاءً حسَنًا لقصيدتِهِ قولُه في قصيدةٍ يتحسَّرُ فيها على هدْمِ بيتِهِ (لغرض التطوير) قائلاً من بحر [الكامل]:

يَا مَنْ عَليهِ الاتِّكالُ مَعُونتُك وأنَا الضَّعيفُ وأنتَ خيرُ نَصيرِ[45]

فقد اختَتَمَ القصيدةَ ختماً حسناً بعد أن أظهر تحسُّرَه وشكواهُ من ذلك القرار الَّذي اقتضى هدمَ مجموعةٍ من البيوتِ الَّتي من بينها بيتُه الَّذي هو مَسْقَطُ رأسِهِ ولهُ فيه ذكرياتُ طفولتِهِ، وقد أشعرَنا الشَّاعر بانتهاء قصيدتِهِ وأنَّها وصَلتْ إلى مَحطَّتِها الأخِيرة، واختَارَ الألفَاظَ المُوحيةَ بذلكَ الانتهَاءِ في نَظْمٍ جَمِيلٍ عندمَا قَال: (وأنَا الضَّعيفُ وأنتَ خيرُ نصيرٍ).

التلميح :

التلميحُ لغةً : من لَمَحَ إِلَيْهِ يَلْمَحُ لَمْحًا وَأَلْمَحَ: اختلسَ النَّظرَ ، وقيل لَمَحَ : نَظَرَ[46].

وعرَّفهُ الرَّازي في كتابه (نهاية الإيجاز) فقال هو : أنْ يُشارَ في فحوى الكلامِ إلى مَثَلٍ سائرٍ ، أو شعرٍ نادرٍ ، أو قصةٍ مشهورةٍ من غيرِ أن يَذكُرَهُ[47].

وعدَّهُ القَزويني منْ بابِ السَّرقاتِ الشِّعريَّةِ قائلاً في التَّلخيصِ:" وأمَّا التَّلميحُ فهو أن يُشارَ إلى قصَّةٍ أو شِعرٍ من غيرِ ذكرِهِ "[48] .

وأمَّا عبد المُتعال الصَّعيدي عند شَرحِهِ لعبارةِ القَزويني قال:" أيْ ذكرُ واحدٍ من القصَّةِ والشِّعرِ ، ومثلِهما الإشارةُ إلى حديثٍ أو آيةٍ أو مَثَلٍ أو مَسألةٍ علميَّةٍ "[49].

وقد جاء هذا المُحَسِّنُ البديعيُّ في شعرِ شاعرِنا فقال في إحدَى قصائدِهِ من بحر [الوافر]:

وخَيرُ البِرِّ عاجلُهُ ليأتِي بخيرٍ والجهادُ هو الخُلُودِ[50]

فقَد أشَارَ الشَّاعرُ إلى المَثلِ المَشهورِ عند العَربِ (خَيرُ البِرِّ عَاجلهُ) فأتَى الكلامُ وكأنَّه يُشارُ إليهِ إشارةً دونَ ذكرٍ ليزدادَ اللَّفظُ حُسناً والمعنَى وُضوحاً .

وكذلكَ أشارَ إلى مَثَلٍ آخَرَ معروفٍ عندما قال من بحر [البسيط]:

عارٌ عليكُم يا بقيَّةَ يَعْرُبِ فالسَّيلُ قد بَلَغَ الزُّبى يتدفَّقُ[51].

---

[45] الديوان صـ41.

[46] ابن منظور : لسان العرب، مادة: (لمح)، ج2 ، صـ584

[47] فخر الدين الرازي : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، صـ173

[48] الخطيب القزويني : تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع صـ220.

[49] عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ج4 صـ700.

[50] الديوان صـ18 .

[51] المصدر السابق صـ13 .

فعبارةُ " فالسيلُ قد بلغَ الزُّبى " فيها إشارةٌ إلى مَثَلٍ عربيٍّ لم يذكُرْهُ الشَّاعرُ وإنَّما اختَار التلميحَ إليه ... وكذلك التَّلميحُ في قولِ الشَّاعرِ من بحر [الوافر]:

فَمَنْ منَّا وقد صِرنَا غُثَاءً يَصُدُّ الشَّرَّ عن شَعْبِ العِراقِ[52]

فالشَّاهدُ في البيتِ هو قَولُ الشَّاعرِ (وقد صِرنَا غُثاءً) فيه إشَارةٌ إلى حَديثِ النَّبي صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّم حينَ سألهُ سَائلٌ : «.. وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ..»[53]، والطَّبعُ وعدَمُ الصَّنعةِ ظاهِرانِ في شعرِ الشَّاعرِ.

العكس والتبديل

العكسُ لغةً : ردُّ آخِرِ الكلامِ إلى أوَّلِهِ[54].

وقد اختلفَ العُلماءُ في تَسميةِ هَذا اللَّون فَمنهم منْ سمَّاه العَكسَ أو المَعكوسَ وبعضُهم سمَّاهُ التبديلَ وبعضُهم سَمَّاه القَلبَ وبعضُهم فرَّقَ بين شَواهدِهِ وأمثلَتهِ فجَعلَ بعضَهَا (عكسًا وتبديلًا) وبعضَها قلبًا ومنهم من جَعلهُ جاريًا مَجرى الطِّباقِ ومنهم من جعَلَهُ ضَرباً من ضُروبِ التَّجنيسِ ، ومنهم من جعلهُ من بابِ ردِّ الأعجازِ على الصُّدورِ[55].

وقد عرَّفهُ الخطيبُ القزوينى قائلًا : " أن يُقدَّم جزءٌ من الكلامِ ثمَّ يؤخَّرُ" أي أننَا نُقدِّمُ جُزءًا من الكلامِ ونُؤخِّرُ جُزءًا ، ثم نعكِسُ فنُقدِّمُ ما أخَّرنَا ونُؤخِّرُ ما قدَّمنَا[56].

وقد علَّقَ صَاحبُ بُغيةُ الإيضاحِ على هَذا التَّعريفِ فقالَ : أيْ على مَا قُدِّم عليه فلا يَكُونُ من العَكسِ والتَّبديلِ قولُه تعالى: {وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ }[57] ، بل هو من ردِّ العَجزِ على الصُّدرِ ولابدَّ أن يَكونَ الجُزءُ كلمةً فيَخرُج تَقديمُ الحُروفِ[58].

ومن شَواهدِ هذا اللَّونِ البَديعي عندَ شَاعِرِنا قَولُه من بحر [الوافر]:

رَأيتُ مِنَ الصَّوَابِ أَلُومُ نَفْسِي وَلَوْمُ النَّفْسِ مِنْ عَيْنِ الصَّوَابِ[59]

---

[52] المصدر السابق صـ 28 .

[53] الحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم، بَابٌ فِي تَدَاعِي الْأُمَمِ عَلَى الْإِسْلَامِ، برقم: 4297 – ، سنن أبي داود (4/ 111).

[54] ابن منظور : لسان العرب، مادة: (عكس)، ج6 ، صـ 144 . ومحمد الرازي : مختار الصحاح ،باب " العين" صـ 188

[55] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ 167.

[56] الخطيب القزويني : تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع صـ179

[57] سورة الأحزاب، الآية : 37.

[58] عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة 4ج صـ592 .

[59] الديوان صـ 47 .

فلا يَخفَى على ذِي عَقلٍ وحِسٍّ بَلاغيٍّ رجُوعُ الكلامِ في الشَّطرِ الثَّاني على الشَّطرِ الأولِ وهو من العكسِ والتَّبدِيلِ عندَ عُلمَاءِ البَلاغَةِ ، فالكَلامُ في الشَّطرِ الثَّاني عبَارةٌ عن جُملَتينِ معكُوسَتيْنِ عن الشَّطرِ الأَولِ وهوَ منْ بَابِ التَّفنُّنِ في الأسَاليبِ وإضْفاءِ الحُسنِ والجَمَالِ على الكَلامِ دُونَ تَكلُّفٍ ولا تَصَنُّعٍ .

الرجوع

الرجوعُ لغةً : من رجَعَ يرجِعُ رجُوعاً : انصرَفَ ، وعادَ الشَّيءُ عنهُ أو إليهِ : صرَفَهُ وردَّه[60].

وقد عرَّفَهُ ابنُ المعتزِّ في كتَابهِ البَديع بقولِهِ: وهو أن يقولَ شيئًا ويرجِعُ عنهُ [61].

وعرَّفهُ الخطيبُ القزويني في التَّلخيصِ فقال: هو العَودُ إلى الكلامِ السَّابقِ بالنَّقضِ لنُكتَةٍ[62].

وأضافَ صاحبُ البُغيةِ معَلِّقًا على هذا التَّعريفِ بقولِهِ : واحترُزَ بهذا العَوْدِ بنقضِهِ لمجرَّدِ كونهِ غَلَطًا ، فلا يكونُ من البَديعِ ؛ لأنَّهُ لا حُسن فيهِ ، ونُكتةُ الرُّجوعِ إمَّا إظهارُ التحيُّر أو التحسُّر أو نحوُهُما ، ولكن هذِه النُكتةُ لا توجِبُهُ في البَلاغةِ وإنَّما هي شَرطٌ في كونهِ محسَّناً فيكونُ من علمِ البديعِ لا علمَ المعانِي[63].

وقَدْ ورَدَ هذا المُحَسِّنُ في قَولِ شاعرِنا مخاطبًا الشَّبابَ من بحر [الوافر]:

تَراهُم يَعبثُونَ وهُم سُكارَى بِلا خَمرٍ ولكن بالعَنَاءِ[64]

لمَّا رَأى الشَّاعرُ حالَ بَعضِ الشَّبابِ وهُم يَعبَثُون ويَلعبُون غير مُبالينَ ولا مُستشعِرين بما يَدورُ حولهُم وغير مُهتمّين بمستقبَلِهم ومُستقبَل أمَّتهم وصَفَهُم بـ (السُّكارَى) ثم تَداركَ كلامَهُ ورَجَعَ عنهُ في قولِهِ : " بِلا خمرٍ " ورجعَ عنهُ بالنَّقضِ لا لكونهِ غلَطاً ولكن لنُكتةٍ بلاغيةٍ مبالغةً في توبيخِهم والاستهانةِ بأفعَالِهم ولا يَخفَى علينَا ما فيهِ من الاحتراسِ، والله أعلم.

ثانياً: المحسنات المعنوية

(الطِّبَاقُ)

الطباقُ في اللُّغَة : طابقْتُ بينَ الشَّيئين إذا جَعلتُهُما على حَذوٍ وَاحدٍ وأزلقتُهُما ، وهذا الشَّيء وِفقَ هذا ووِفاقُه وطِباقُه وطِبْقُه وطبيقُه ومُطبقه وقَالبه بمَعنى وَاحدٍ[65] .

[60] ابن منظور : لسان العرب، مادة: (رجع)، ج8 ، صـ114

[61] عبد الله بن المعتز : البديع ، ط1 ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1990 م ، صـ154 .

[62] الخطيب القزويني : تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع صـ180 .

[63] عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ج4 ، صـ594

[64] الديوان صـ44 .

[65] ابن منظور: لسان العرب، مادة (طبق) ج209/10، والرازي، مختار الصحاح باب: الطاء ج163/1.

وفي الاصْطلاحِ : هو الجَمعُ بين المتَضَادين أي معنَيين متَقابلين في الجُملة ويُسمى " الطباقُ والتَّكافؤُ والتَّضادُ " ويُشترطُ في المَعنيين أن يَكونَ بَينهُما تَنافٍ ولَو من بعضِ الوجوهِ[66] .

ويكونُ بينَ اسْمينِ ، أو فِعلينِ ، أو بين حَرفينِ أو يَكونَ بين نَوعينِ مُختلفينِ أي : (بين اسمٍ وفعلٍ) مثلاً .

والطباقُ ضَربانِ:

طباقُ إيجابٍ : وهو مَا لم يَختلفْ فيهِ الضِّدَّانِ إيجَاباً وسَلباً.

وطِباقُ سَلبٍ : وهو أن يُجْمَعَ في الكَلامِ بين الثُّبوتِ والانتفَاءِ[67] .

وقد ورَد الطِّباقُ في شِعرِ شَاعِرناَ وهو منَ النَّوعِ الأولِ في قولهِ من بحر [الوافر]:

فهُبُّوا للجِهادِ ففيهِ عزٌّ حَياةَ الذُلِّ يا عُربُ سَئِمْنَا[68]

فقَد جَمعَ الشَّاعرُ بينَ اسمَيْنِ في كَلامٍ وَاحدٍ (عز ، وذل) ، وهُما مُتضَادان لِيزدادَ الكلامُ جَمالاً ورَونقاً ، فالضدُّ يُظْهرُ حُسنَهُ الضِّدُّ ، وهذا النَّوعُ من طِباقِ الإيجابِ ، الَّذي لا يَختلفُ فيهِ الضِّدانِ سَلباً وإيجَاباً .

وقد يَكونُ الطِّباقُ بين فِعلينِ ومنه قولُ شاعِرنَا من بحر [الكامل]:

في نَظْم شعرٍ قد نُصيب ونُخطئُ لكنَّ قولَ الفصلِ لا يتجزَّأُ[69]

فقد طَابقَ الشَّاعرُ بين فِعلينِ وجَمعَ بينَهُمَا في كَلَامٍ وَاحدٍ (نُصِيبُ ونُخْطِئُ) وهذا النَّوعُ من طباقِ الإيجابِ أيضاً، ومِنْ هذا النَّوعِ المُوجَبُ الَّذي يَكونُ بين فِعلينِ قَولُ الشَّاعرِ من بحر [الكامل]:

المَالُ في عَصرِ الجَهالَةِ يَنفعُ صَار الوضِيعُ بهِ يَحُطُّ ويَرفَعُ[70]

فنُلاحظُ أنَّ الشَّاعرَ – دُون تكلُّفٍ – قد جَمَعَ بين (يَحُطُّ ويَرفَعُ) ، وهذا الجَمعُ يُعرَفُ بالطِّباقِ ليَكسُو الكَلامَ بَهَاءً وجَمَالًا ، ويَزدَاد المَعنَى وُضُوحاً .

وقد يُؤتَى بمعنيينِ أو أكثرَ ثمَّ يُؤتَى بما يُقابلُ ذلكَ على التَّرتيبِ والمُرادُ بالتَّوافُقِ خلافَ التقَابلِ ، وقد جعلَ القَزويني هذا القِسمَ مما يَدخلُ في بَابِ الطِّباقِ ولم يَجعلْهُ قِسماً مُستَقلاًّ بذاتِهِ [71] وذلك مثل قول شَاعِرنا من بحر [الكامل]:

في كثرةٍ مهزومةٍ يُرثَى لَهَا مِنَّا الكَلامُ ومنْهم الأفعالُ[72]

فالشَّاعرُ قد قابلَ بين معنيين في كلامٍ واحِدٍ وكان هذا التَّقابلُ بين (منَّا الكلامُ ، ومنهم الأفعالُ) فـ (منَّا) يقابلهُ (منهم) و (الكلامُ) يُقابلهُ (الأفعال) وهي من المُقابلة الجيدةِ التي جرتْ مجْرى الطَّبع ولم تأتِ متكلَّفةً

[66] أحمد الحَمَلاوي : زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع ، تحقيق : مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية، مصر، صـ149.

[67] الخطيب القزويني : تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع ، صـ 176

[68] الديوان صـ16

[69] الديوان صـ18

[70] الديوان صـ39

[71] الخطيب القزويني : تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع صـ177

[72] الديوان صـ 15

والشَّاعرُ يعبرُ عن حال أُمتهِ الّتي صَارت ضعيفةً مهزومةً ليسَ لهم إلا الكلامَ الَّذي لا يُفيد شيئاً في المَوازين بعد أنْ كانت في موقعِ القُوةِ والسِّيادةِ .

وهناك فرقٌ بين الطِّباقِ والمُقابلةِ وهو أنَّ الطباقَ يجمعُ بين ضدَّينِ فقط أمَّا المُقابلةُ فتكونُ غالبًا بالجمعِ بين أكثرَ من اثنينِ ، والطِّباقُ لا يكونُ إلا بالأضدادِ ، أمَّا المُقابلةُ فتكونُ بالأضدادِ وبغيرِها ولكنَّها بالأضدادِ تكونُ أعلى رُتبةً وأعظمَ موقِعاً[73]

المَذْهبُ الكَلامِي

عرَّفهُ القَزويني قائلاً : أن يُوردَ المتكلِّمُ حجةً لما يدَّعيهِ على طَريقِ أهلِ الكلامِ [74] .

وأولُ مَن أشارَ إلَى هذا اللَّون منَ الكَلامِ هو الجَاحظُ ، ثمَّ ابن المُعتَز الَّذي عَدَّه أحدَ الفُنُون الخمْسةِ الأسَاسيةِ للبَديعِ ، ولكنَّهمَا لم يُحدِّدَا مَفهُومَهُ بل أشَارَا إلى أمثلتِهِ فقط[75]

.وممَّا وَرَد في شِعر شَاعرِنَا مثل هذا اللَّون قولُهُ مُخاطِباً الأمَّةَ العربيَّةَ من بحر [البسيط]:

ولِتعـْلَموا بعدَ العراقِ جَميعُكُم سيَطالكُم هَذا اللَّئيمُ الأحْمَقُ

وتَذكَّروا القُدسَ الشَّريفَ وما جَرَى وتبَصَّروا خُبثَ العَدوِّ ودَقِّقُوا[76]

فعِنْد تَأَملِ البَيْتينِ السَّابقينِ نَجدُ أنَّ الشَّاعرَ قد ادَّعى دَعْوَى أنْ سَيطَالَ العدوُّ جَمِيعَ الأمةِ العربيةِ والإسْلاميةِ بعدَ نكبةِ العِراقِ ، ثم التمسَ دليلاً مُقنعاً لِيُبَرهنَ على صِحَّةِ دَعواه على طَريقةِ المتكلِّمينَ عنْدمَا يُورِدُونَ الحُجَجَ العَقْليَّةَ ليُدللوا بها على صِحَّةِ دعْواهُم فأورَدَهَا في البَيتِ الثَّاني نَاصِحاً لهُم أن يَتذكَّرُوا ما جَرى بالقُدسِ الشَّريفِ من قِبَلِ اليهُودِ الأنجاسِ عندما احتلُّوا الأرضَ وانتَهكُوا العِرضَ ودنَّسُوا المُعتقداتِ ، وهذا ما يُسمَّى بالمَذهبِ الكَلامِي عند البَلاغِيين .

التورية أو " الإيهام " :

[73] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ 155

[74] الخطيب القزويني : تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع صـ188: والإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه، إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2003 م، صـ276

[75] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ238

[76] الديوان صـ13

التورية لغةً : مصدرُ وريتَ الخبَرَ توريةً إذا سَترتَه وأظْهرتَ غيرَهُ[77]

واصطلاحاً : هي أن يَذكُرَ المُتكلمُ لَفظاً مفرَداً له مَعنيان أحدُهمَا قَريبٌ ظَاهرٌ غيرُ مرادٍ ، والآخرُ بعيدٌ خفيٌّ وهو المُرادُ بقَرينةٍ[78] .

وللتَّوريةِ أربعَةُ أقسَامٍ : المُجَرَّدةُ ، والمُرَشَّحةُ ، والمُبَيَّنةُ ، والمُهيَّأةُ .

فالمجرَّدة : هي التي لم تقترنْ بلازمٍ من لوازمِ المَعنى القَريبِ أو البعيدِ

والمرشَّحةُ : هي التي اقترنتْ بلازمٍ من لوازمِ المعنى القَريبِ

والمبيَّنةُ : هي التي اقترنتْ بلازمٍ من لوازمِ المَعنى البَعيدِ

والمهيَّأةُ : هي التي لا تَقعُ التَّوريةُ فيها إلّا بِلفظٍ قبلهَا أو بعدهَا[79]

وقد ورَدت التَّوريةُ في قولِ شَاعرِنا في قَصِيدةٍ يهجُو فيها أَحَدَ المسْؤُولِينَ في الدَّولة من بحر [الوافر]:

فإنْ كانَ الزَّمانُ عليَّ ولَّى فعنْدي ما أَرُدُّ على القَديمِ[80]

فقَد ذكرَ الشَّاعرُ لفظاً له مَعنيَان وهو " القديم " فالمعنى الأولُ هو صِفةُ الزَّمَان ويكُونُ قريباً متَبادِراً إلى الذِّهنِ وهو غيرُ مُرادٍ ، أمَّا المَعنى الثَّاني فهو بَعيدٌ غيرُ مُتبادِرٍ إلى الذِّهنِ وهذا المعنى هو الَّذي أرادَهُ الشَّاعرُ وأخفاهُ ووَرَّاه خلفَ المعنى القَريبِ وهو لَقَبٌ للشَّخصِ الذي أرادَ الشَّاعرُ أن يهجوَهُ ويوجِّهَ إليهِ اللَّومَ عندمَا أثارَ حَفيظَةَ الشَّاعرِ بمُعاملتِهِ التي لم تُرضي الشَّاعرَ .

وهذه التَّوريةُ مرشَّحةٌ ؛ لأنَّها اقتَرنتْ بِلازِمٍ من لَوازِمِ المَعنَى القَريبِ وهو " الزَّمانُ "

تأكيدُ الذَّم بما يُشبِهُ المَدْحَ

ويأتي على ضَربينِ : الأولُ أن يُستثنَى منْ صِفَةِ مدْحٍ منفيَّةٍ عنِ الشَّيءِ صِفةَ ذمٍّ بتَقديرِ دخولِها فيها ، كقَولكَ : فلانٌ لا خيرَ فيهِ إلَّا أنَّهُ يُسِيءُ إلى مَنْ يُحْسِنُ إليهِ

والثَّانِي : أنْ يُثبَتَ للشَّيءِ صِفةُ ذمٍّ ويُعقَّبَ بِأداةِ استثناءٍ تَليهَا صِفَةُ ذمٍّ أخْرَى لَه كقولك :

(فُلان فاسقٌ إلَا أنَّه جاهلٌ)[81]

وقد وردَ هذا المُحَسِّنُ البَدِيعي في شِعْرِ شَاعِرِنَا منْ قصيدةٍ في ذمِّ غُزَاةِ العرَاقِ قائلًا من بحر [الوافر]:

---

[77] ابن منظور : لسان العرب ، مادة (ورى) ، ج15 ، صـ386

[78] السيد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع صـ300

[79] محمد الجربي : البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البديع صـ103 - 104

[80] الديوان صـ78

[81] عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ج4 ، صـ624

مَعَاذَ اللهِ لَيْسَ لَكُمْ عُهُودُ ولَيْسَ لَكُمْ سِوَى زَرْعِ الشِّقَاقِ[82]

فقد استثنى الشاعرُ من صفةِ مدحٍ منفيةٍ وهي " ليس لكم عهودٌ " صفةَ ذمٍّ أخرَى وهي " زرعُ الشِّقاقِ " ؛ لأنَّ هذا المُحسِّنُ يَقومُ على المفاجَئةِ والمباغَتةِ ، فلمَّا ذكَرَ الشَّاعرُ صفةَ المدحِ المنفيةِ وأتى بـ (سِوى) التِي تُفيدُ الاستثناءَ توهَّم السَّامعُ أنه سيذكرُ لهم صفةَ مَدحٍ لم تدخلْ في النَّفيِ السَابقِ فتفاجَأ السَّامعُ بوجودِ صفةِ ذمٍّ أخرَى بعدَ أداةِ الاستثناءِ وهي (زرعُ الشِّقاقِ) مُبالغةً في ذمِّهم وأنَّ ليسَ لهُم ما يُمدَحُونَ به بلْ ليسَ لهُم صِفَةُ مَدحٍ ألبتَّة .

التَّجريـدُ

التَّجريدُ لغةً :" جرَّد الشَّيءَ يجرِّدهُ جَرْدًا ، أو جرَّدَهُ قَشَّرَهُ ، وجَرَّدَ الجِلْدَ يُجَرِّدُهُ جَرْدًا نَزَعَ عنهُ الشَّعَرَ "[83].

وفي اصطلاح البلاغيين : عرَّفهُ ابنُ الأثيرِ قائلاً " إخْلاصُ الخِطابِ لغَيرِكِ وأنتَ تُريدُ بهِ نفسَكَ لا المُخاطَبَ نفسَهُ "[84]

وتكمُنُ بلاغَةُ التَّجريدِ فيما يلي :

– المبالغةُ في وجُودِ الصِّفةِ في المنتزَعِ منهُ فقد بَلغَ في الاتِّصافِ بها مبلغاً عظيماً إلى درجةِ أن صارَ يُفضِي بها على غيرِهِ .

– إثارةُ الخيالِ وتنشيطُ الأذهانِ وتنبيهُ العقولِ لما في أساليبه من تصوير وتخييلٍ ومن تنويع وتلوين في الصياغة ، ومثل هذا الكلام يقع في النفس موقعه ؛ لأن من شأن العقول التي أُوقِظتْ ونُبِّهتْ أن تُصغِي بعنايةٍ[85]

ويأتي التَّجريدُ بعدةِ طرُقٍ منها : مُخَاطبةُ الإنسانِ نفسَه ومن ذلك قولُ الشَّاعرِ بعد أن تقدَّمت به السَّن وأحيلَ على التقاعد ولم يَلتفِتْ إليه أحدٌ بعد عدَّة عقودٍ من العطَاءِ من بحر [الكامل]:

وانظُر لحَالِك أين أنتَ فمَا مَضَى ؟ يَبْقَى حَديثاً عَابراً لا يُقبلُ[86]

فقد جرَّد الشَّاعرُ من نفسِهِ شخصاً آخرَ ، وأخَذ يُخاطبُه بِقوله : (وانظر) وفي هذه الصُّورةِ نرى أنَّ الغَرضَ من التَّجريد هو تمكينُ المتكلِّمِ من إجراءِ الأوصافِ المقصودةِ من مدحٍ أو غيره على نفسهِ إذ يكونُ مُخاطباً بها غيرَهُ فيكونُ ذلك أعذرَ له ، وقد يفيدُ هذا الأسلوب التشبيهَ الضمنيّ أو الالتفاتَ وأحياناً لا يفيد تشبيهاً ولا التفاتاً[87] ، وفي البيت السابق أفاد الالتفاتَ من الغيبةِ إلى الخطابِ .

---

[82] الديوان صـ28

[83] ابن منظور : لسان العرب ، مادة (جرد) ج3 ، صـ115

[84] ضياء الدين ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1995 م ، ج1 ، صـ405

[85] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ208

[86] الديوان صـ35

[87] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ207

وقد يكونُ التجريدُ مُستفاداً من السِّياق والقَرائن من غيرِ توسُّطِ حرفٍ من الحُروف أو غيرِها ، ومن ذلك قولُ شاعِرِنَا من بحر [الكامل]:

فهوَ الجُحودُ بِعينِهِ المتناكِرة للمُخلِصين وبِالهُراءِ تَعلَّلوا[88]

فقد عنَى الشَاعرُ بـ " المُخلِصِينَ " أي المُعلِّمينَ وهو أحدُهُم على سَبِيلِ التَّجريدِ ، إذ انْتَزَعَ من نَفْسهِ صِفةَ " الإخلاصِ " مُبالغةً في اتصَافِهِ بتلكَ الصِّفةِ.

الـمُبالَـغـةُ

جَاءَ في لسَانِ العَربِ : بَلَغَ الشَيْءَ يَبْلُغُ بُلُوغًا ، وَصَلَ وَانْتَهَى[89]

وفي اصطِلَاحِ البَلاغِيين : أن يُدَّعَى لوَصْفٍ بُلوغَهُ في الشِّدَّة أو الضَّعفِ حدًّا مُستَحيلاً أو مُستَبْعَدًا[90] .

وقد أطلقَ عُلَماءُ البلاغةِ على هذا الفنَّ تسْمياتٍ عدَّةٍ منْها : (الإفرَاطُ في الصِّفةِ ، والغُلوُّ ، والإغْراقُ ، والإيغَالُ ..... وغيرُها)[91] .

وهي على ثَلاثةِ أقسامٍ (تَبليغٍ ، وإغراقٍ ، وغُلوٍّ) .

فالتبليغُ : هو الإفراطُ في وصْفِ الشَّيءِ بما هو مقبُولٌ عَقلاً وعَادةً

والإغراقُ : هو الإفراطُ في وصْفِ الشَّيءِ بما هو مَقْبولٌ عَقلاً ومَرفُوضٌ عَادةً

والغلوُّ : هو الإفْراطُ في وصْفِ الشَّيءِ بما هُو مَرفُوضٌ عَقلاً وعَادةً[92]

فالمُبالغةُ المَقبُولةُ ورَدتْ في شِعرِ شاعِرِنَا من قَصِيدةٍ في مَدحِ الشَّاعرِ " عبد المُولى البَغدادِي – رحمهما الله تعالى – " وذلك في أُمسيَةٍ شعريةٍ بمدينةِ مَسِلّاتة فقال من بحر [الوافر]:

وَأعْطَى الشِّعرَ دفعًا وارتقَاء وعَمَّ حديثُه كلَّ البِقاعِ[93]

فقد بالغ الشاعر في وصف شاعرية الممدوح حتى عم حديثه كل بقاع الأرض وهذا ممكن عقلاً وعادةً إذ يجوز عقلاً أن يصلَ الإنسانُ إلى تلكَ الشهرةِ وليس ممتنعاً عادةً وإن كان بعيداً

---

88 الديوان صـ35

89 ابن منظور : لسان العرب ، مادة (بلغ) ، ج8 ، صـ419 .

90 عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ج4 ، صـ612

91 بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ196

92 بكري أمين : البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البديع) صـ27

93 الديوان صـ76

وتكون المُبَالغةُ مَقبولةً إذا اقترنَ لفظُها بما يقرّبُها إلى الصِّحة نحو (كاد ، أو لو) وشاهد ذلك عندما قال الشاعرُ في مدح العامريَّةِ وأهلِها من بحر [الكامل]:

فهيَ الجَمالُ بِكلِّ مَا في أرضِها حتى يَكادُ جَمادُها يَتكلَّم [94]

فقد وصَفَ الشاعرُ العامريَّةَ بالجمالِ الأخَّاذ وادَّعى شيئاً زائداً عن المعنَى في شطْره الثاني وهو أنَّ جمادَ تلكَ القبيلةِ كاد أنْ يتكلَّم وهذا من المبالغةِ المَقبولةِ لاقترانِها بلفظ " كاد " الَّذي قرَّبَها إلى الصِّحةِ والقُبُولِ .

وتكون المبالغةُ مقبُولةً أيضاً إذا اقترنَ لفظُهَا بـ " لو " كقول شاعرنا في مدح الزيدي العراقي لما لطَم وجْهَ الَّرئيس الأمريكي بحِذائِه الطَّاهر قائلاً من بحر [الوافر]:

فَلو نَطَقَ الحِذاءُ لقَالَ تبًّا لَحَاكَ اللهُ يا وجْهَ البَهيمِ[95]

فنُطْقُ الحذاءِ أمرٌ مُستحيلٌ ومُبالَغٌ فيه ولا يَتَصَّورُهُ عقلٌ ولا يُقرُّهُ العُرفُ والعَادةُ ، والَّذي قرَّبهُ من الإمكان وصَارَ مقبُولاً هو اقتِرَانُ لفظهِ بـ " لو " وهو حرفُ امتناعٍ لامتناع ، فصَارَ من المُبَالَغةِ المقبُولةِ ، ولا يَخفَى علينا ما في البيتِ من التَّخييلِ الَّذي زادَ اللَّفظَ جَمالاً والمَعنى وُضُوحاً .

تَجاهُل العَارفِ

عرَّفهُ البَلاغيون بأنَّهُ : (سوقُ المعلومِ مساقَ المجهولِ لنكتةٍ بلاغيةٍ كالمبالغةِ في المدحِ أو الذمّ أو التوبيخِ)[96]

وقد عدل السكَّاكي عن تَسمِيتِه " تجاهل العارف " تَأَدُّباً مع أساليب القرآن الكريم وتنزيهاً لله – عز وجل – عن تلك اللفظةِ " تجاهل " وإنَّما سمَّاه " سَوقَ المعلومِ مَسَاقَ المَجهولِ "[97]

وتتَعدَّد النُكتُ والأسْرارُ البَلاغيةِ التي من أجلِها يُساقُ المَعلوم مساقَ غيرِ المعلومِ مثل التَّحقيرِ والتَّقريرِ والتَّعريضِ والتَّوبيخِ والمبالغةِ في الذِّم والهجاءِ والمبالغةِ في المدحِ والثناءِ

ومِما ورَدَ في شِعرِ شَاعرِنا في مُناسبةٍ طَريفةٍ عندما دُعي إلى وجْبةِ غَذاءٍ في أَحَدِ المَطاعمِ من بحر [الوافر]:

دَخلنا مَطعمَ المنصور لمَّا لَوانَا الجُوعُ وانتَصفَ النّهارُ

فجَاءُونا بمشْويٍّ رَهيفٍ فَلا أدري أعِجلٌ أم حِمارُ [98]

فقد ساقَ الشاعرُ كَلامَه مُتجَاهلاً نَوعَ اللَّحمِ الَّذي قُدِّمَ إليه مُبالَغةً في ذمِّهِ . فالطَّرافةُ واضحةٌ في هذين البَيتين وهذا ما كان يمْتازُ به الشَّاعر ومعروفٌ به بينَ أقْرانِه

---

[94] الديوان صـ74

[95] الديوان صـ26

[96] أحمد الحملاوي : زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع صـ165

[97] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ229

[98] الديوان صـ33.

الإرصَادُ أو التَّسهيمُ :

وهو أنْ يُجعلَ قبلَ العَجزِ من الفقرةِ أو البيتِ ما يَدُلُّ على العَجُزِ إذا عُرفَ الرَّوِي ويُسمَّى أَيْضاً التَوشيحِ ، والتَّبين [99].

وتَكمن بَلاغةُ الإرصادِ في دلالتِهِ عَلى آخِرِ الكَلامِ قبلَ الوصُولِ إليهِ فالكلامُ الجَيِّد ما دلَّتْ مَوارِدُهُ عَلى مَصادرِهِ وكَشَفَ أولُهُ عَلى آخِرِهِ حتَّى قالَ الخُبَراءُ بفنَّ القولِ : " البلاغةُ أنْ يكونَ أولُ كلامِهِ دالاًّ على آخِرِهِ وآخرُهُ مرتَبطاً بأولِهِ ... " وتَحكِي لنَا كتُبُ التراثِ حكاياتٍ عن فطنةِ الشُّعراءِ ونقادِ الكلامِ وكيف كانوا يُدركونَ الشَّطرَ الثَّاني كلَّه وليس القافيةَ وحدَها بمجَّرد سَماعِ الشطرِ الأولِ منَ البيتِ[100]

وعند استقرائِنا لديوانِ شاعرِنا وجدنَا هذا التحسينَ في الكلامِ وذلك في مطْلعِ قصيدةٍ يفخَرُ فيهَا بالتَّعليمِ وأهلِهِ من بحر [الوافر]:

دَخلتُ رِحابَكم أَسعَى احتِسَابَا وقَد عَطَّرتُ بالمِسْكِ الثِّيَابَا[101]

فالشاهدُ في هذا البيتِ الإرصَادُ أو التَّسهيمُ فقد دل أول كلامه على آخره فلما قال الشاعر : (دخلتُ رحابَكم أسْعى احتسَابا) في الشطر الأول وأتى في الشطر الثاني (وقد عطَّرتُ بالمِسكِ) دلَّ على أنَّ قَافيةَ الشَّطرِ الثَّانِي لا بُد أنْ تَكونَ (الثيابا) لا مَحالَة .

وكذلكَ في قَولِهِ من بحر [الوافر]:

جَزاكُم خَالقُ الأجيَالِ خَيراً وعند الله تَلقونَ التَّوابا[102]

فعند سَماعِ قولِ الشَّاعرِ : " وعند الله تلقون " سيدرك السامع – لا محالة – أن القافية هي كلمة (التوابا) ويتعرَّف على القَافيةِ لأنَّ الكلامَ السَّابقَ دلَّ عليها

الهزلُ الَّذي يُرادُ به الجدُّ

وهو أن يَقصدَ المتكلمُ مدحَ إنسانٍ أو ذمّه فيُخرجَ ذلكَ مَخرجَ المُجون

[99] عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ج4 ، صـ587

[100] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ165

[101] الديوان صـ66

[102] الديوان صـ66

وذلك كقولِ أبي دُلامة لما خرَجَ في جنازةِ ابنة عمّ المنصورِ، جلسَ على القبرِ ينتَظرُ مُوارَاتِها فقالَ لهُ المنصُورُ : ما أعددتَ لهذِهِ الحُفرةِ يا أبَا دُلامَةَ ؟ فقال لهُ : ابنةَ عمّ أميرِ المُؤمِنين[103]

وتكمن بلاغةُ هذا الأسلوبِ في أنَّ الهزلَ إذا صارَ طريقاً للجدَّ كان أبلغَ وأقوَى في تصويرِ المعنَى وإبرازِهِ من أن يُقصدَ إلى الجدِّ رأساً [104].

ومن هذا الضَّربِ قولُ شاعرِنا يهجُو لَئيماً من بحر [الوافر]:

أَلَم تَنْظُرْ إلى المِرْآة يَوْماً لِتَعرَفَ منْ تكُونُ مِنَ السِّبَاعِ

ولكنَّ السِّباعَ لَها خَلاقٌ وأنتَ الوحشُ في قُبحِ الطِّباعِ[105]

في صورةٍ هزليةٍ يشبِّه الشاعرُ الشخصَ المذْمُومَ بحيوانٍ مفترسٍ في قبحِ طبعِهِ وانعدامِ رحمتهِ ، ثم يستدركُ الشَّاعرُ في مبالَغَةٍ لطيفةٍ ليفضلَ السباعَ عليه في بعضِ صفاتِها وأنَّ لِتِلْكَ السِّبَاعِ صفاتِ الوفاءِ والإخلاصِ التي لم يكنْ للمَهجوِّ نصيبٌ منْها ، وإذا صارَ الهزلُ طريقاً للجدِّ كان أوجعَ وأبلغَ في الإقذاعِ والإيلامِ ، ولا يَخفَى علينا دقةُ التشبيهِ البليغِ في قولِهِ : (وأنتَ الوحشُ) ليحذفَ الأداةَ ووجهَ الشبهِ مبالغةً في ذمِّه وسوءِ طبعهِ .

التَّـهَـكُّـم

التَّهكُّم لغةً : الاستهزاءُ، يُقالُ : تَهَكَّمَ بِنَا أي زَرَى علينا وعَبَثَ بنا[106]

وفي الاصْطلاحِ يقُولُ صَاحبُ التَّحبيرِ :" الإثباتُ بلفظِ البِشارةِ في مَوضَعِ الإنْذارِ والوَعدِ في مَكانِ الوعيدِ والمَدحِ في مَعرضِ الاسْتهزاءِ، ومِثالُهُ من الذِّكرِ الحَكيمِ قَولُ اللهِ تعالَى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[107]"[108].

وَمنْ هَذَا الضَّربِ قَولُ شَاعرِنَا بعد أنْ يَئسَ من انتِظارِ لَحظةِ التَّكريمِ والاعترافِ بالفَضلِ مِن قِبَلِ المَسئولِينَ بَعد أنْ أفْنى عُمُرَهُ في البَذلِ والعَطَاءِ وقَد أُحِيلَ عَلى التَّقَاعُد من بحر [الكامل]:

يَا مَنْ على التَّكريمِ باتَ يُعوِّلُ أبشرْ فبابُ الخيرِ دونَكَ مُقفَلُ[109]

---

[103] شهاب الدين النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق ، مفيد قمحية وجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط" 1 " 2004 م ، ج 4 ، صـ 45

[104] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ 248

[105] الديوان صـ 83.

[106] ابن منظور : لسان العرب ، مادة (هكم) ، ج12 ، صـ 617

[107] سورة النساء: الآية: 138.

[108] عبد العظيم المصري : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، تحقيق : حفني محمد شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة ، صـ 268

[109] الديوان صـ 35

فقولُه : (أَبشرْ) هوَ عَلى سَبيلِ التَّهَكُّم الَّذي ظَاهرهُ جدٌّ وبَاطنهُ هزلٌ فَهو يَسخرُ منْ أُولئكَ المَسْئولِينَ الَّذينَ لا يَهتمُّونَ بإعطاءِ أصحابِ الحقوقِ حُقوقَهم وأنَّه لا أمَلَ لهُ في انتظارِ ذلكَ التَّكريمِ فهو بَعيدُ المنَالِ .
وهُناك فرقٌ بيْن أُسلوبِ التَّهكُّمِ وأُسْلوبِ " الهَزل الَّذي يُرادُ به الجدُّ " فالتَّهكمُ ظَاهرهُ جدٌّ وبَاطنهُ تهكُّم ومزاحٌ ، والهزلُ الذِي يُرادُ به الجدُّ ظاهرهُ هزلٌ ومُزاحٌ والمقصودُ منهُ معنى صَحيحٌ وأمْرٌ جَادٌ ، فالأسلوبان متناقضان[110] .

الخاتمة

نخلص من خلال دراستنا –المتواضعة– لشعر شاعر معاصر إلى عدة نتائج أهمها:

1- أن الشاعر قد حاكى مجموعة من الشعراء في عصور مختلفة نهل من تراثهم الشعري والأدبي .
2- بينت هذه الدراسة مدى اتساع رؤية الشاعر وموهبته الأدبية وانفتاحه على كثير من الثقافات، ودلنا على ذلك تعدد الأغراض الشعرية في ديوانه بين الفخر والمدح والغزل ... وغيرها من الأغراض الأخرى.
3- كثرة المحسنات البديعية وتنوعها يدل على اكتساب الشاعر الأداة الفنية والتعبيرية التي جعلت شعره يتسم بالجمال والروعة .
4- وفي النهاية يمكن الوصول إلى نتيجة مؤداها أن هذا الشاعر قد خاض تجربة شعرية مميزة في مجال الشعر خاصة والأدب عامة، وأن تلك الألوان البديعية الواردة في شعره ليست للزخرفة الشكلية فحسب؛ بل هي من الأمور التي اقتضاها المقام واستدعاها الحال.

ويوصي الباحث الأساتذة المتخصصين بالاهتمام بدواوين شعرائنا المعاصرين وأعمالهم الشعرية والأدبية ومحاولة تفسير الظواهر النقدية واستخراج الصور البلاغية ليستفيد من تلك الدراسات طلاب العلم ومتذوقي الشعر والأدب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
1. أبو داود، سنن أبي داود سليمان بن الأشعث (المتوفى: 275هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
2. ابن منظور : لسان العرب ، ط" 1 " ، دار صادر، بيروت، ومحمد الرازي: مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1995 م ،باب " الفاء ".

[110] بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع صـ 248

3. أحمد الحَمَلاوي : زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع ، تحقيق : مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية، مصر .
4. إنعام عكاوي : المعجم المفصل في علوم البلاغة " البديع والبيان والمعاني " ط 1 ، مراجعة أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت 1992 م.
5. بسيوني فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ط2، دار المعالم الثقافية، السعودية، 1998 م.
6. بكري أمين : البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1996 م .
7. جرير بن عطية : الديوان، شرحه : حمدو طمَّاس ، ط 1، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، صـ 2003 م.
8. الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه، إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2003 م.
9. الخطيب القزويني : تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، طـ1 ، كتب حواشيه ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية بيروت، لبنان ، 2002 م.
10. السيد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق يوسف الصَّميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2007 م.
11. شهاب الدين النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق ، مفيد قمحية وجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط" 1 " 2004 م.
12. ضياء الدين ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، 1995 م.
13. عبد الرحمن السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1974 م.
14. عبد الرحمن الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، ط1 ، دار القلم ، دمشق ، 1996 م.
15. عبد العظيم المصري " ابن أبي الأصبع" تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، تحقيق : حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة.
16. عبد الله بن المعتز : البديع ، طـ 1 ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1990 م.

17. عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، عدد الأجزاء 4 ، ط17 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2005 م.
18. فخر الدين الرازي : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق : نصر الله حاجي، ط1، دار صادر، بيروت، 2004 م.
19. المبروك محمد التفوح : ديوان شاعر مسلاته، تحقيق : نصر مفتاح آغا موسى، دار الحكمة، طرابلس ليبيا .
20. محمد الجربي : البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البديع، ط1 ، مراجعة علي رمضان الجربي منشورات إلجا، مالطا، 2001م.
21. النابغة الذبياني : الديوان ، شرحه : حنا نص الحتي، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان ، 2007 م.